12 me Année No. 558

Lundi - 13 - 3 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٥٨ « القاهرة في يوم الإثنين ١٨ ربيع أول سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٣ مارس سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

## الفهـــرس



# ١٦ ـ دفاع عن البلاغة

## ٨ ـ الأسلوب

كان سيد البلغاء محمد بن عبد الله (ص) يكره أن يجاوز الكلام مقدار القصد به ؛ فقد تكلم رجل عنده فأطال ، فقال له : « كم دون لسانك من حجاب ؟ قال : شفتاي وأسناني . فقال له الرسول : إن الله يكره الانبعاق[1] في الكلام . فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته »

وقيل لإياس : « لا عيب فيك إلا أنك تطيل . قال : أخَيْراً تسمعون أم شراً ؟ قالوا : خيراً . قال : فالزيادة في الخير خير . روى ذلك الجاحظ وعقب عليه بقوله : « وليس الأمر كما قال إياس ؛ فإن للكلام غاية ، ولنشاط السامعين نهاية . وما فضَل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والملال ، فذلك الفاضل هو الهَذَر ، وهو الخطل ، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه »[2]

وكان أمراء النثر العربي من أمثال جعفر بن يحيى وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد ، ويؤثرون طريق الإيجاز ، حتى قال جعفر للكتاب : « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا » . والتوقيعات ما يعلقه الخليفة أو الوزير

(١) الانبعاق في الكلام : الاندفاع فيه . (٢) البيان والتبيين ص ١٠٦

أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب فى شكوى حال أو طلب نوال . وهى تجرى مجرى الأمثال فى الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة . مثل ذلك ما وقّع به المأمون إلى الرستمى فى قضية من تظلم منه : « ليس من المروءة أن تكون آنيتك من ذهب وفضة وغريمك خاوٍ وجارك طاوٍ » . وما وقع به جعفر فى كتاب رجل شكا إليه بعض عماله : « قد كثر شاكوك ، وقلّ شاكروك ، فإما اعتدلت ، وإما اعتزلت »

كذلك كان أقطاب النثر الفرنسى من أشباه ( شاتبريان ) و ( فلوبير ) يتشددون فى الإيجاز ، ولا يتسمحون فى الإعادة ، حتى حرّموا على أنفسهم استعمال اللفظ مرتين فى صفحة واحدة . وقد أخذ ( فلوبير ) فى إحدى رسائله على ( شاتبريان ) أنه كرر لفظاً مرتين فى وصفه قدوم ( أودور ) إلى روما فى كتابه « الشهداء » . ومن كلام ( بوالو ) : يجب أن تعرف كيف توجز ، لتعرف كيف تكتب . ونفور نوابغ الكتاب من الإسهاب منشؤه فيهم تلك القوة البلاغية الإلهية التى تحدد الغاية وتريد أن تبلغها من أخصر طريق . فهم لا يلغون لأنهم يعلمون المعنى الذى يفيد ، ولا يحشون لأنهم يعرفون اللفظ الذى يدل ، ولا يخبطون لأنهم يبصرون الأمد الذى يُرام . أما الذ[illegible] لا يقدّرون ما يقولون ، أو لا يدرون أين يقصدون ، فهم [illegible] الهائم على وجه المنحدر قصاراه زبدٌ وجرجرة ، أو كاللسان [illegible]بول نطقه لغطٌ وثرثرة . وثرثرة اللسان كقرقرة البطن أصوات تذهب مع الريح !

والإيجاز فى بلاغة العربية كما قلنا أصل وروح وطبع ، ولكنه فى البلغاء قوة وروية وعمل . ونريد بالعمل الجهد ، لأن الإيجاز غربلة ونخل ، وتنقية وتصفية ، وتصميد وتركيز . وذلك لا يتهيأ لك إلا بدوام النظر وطول التعهد . ومهما قلبت الجملة على وجوه البيان فإنك لا محالة واجد فيها عوجاً يعدّل ، أو نتوءاً يسوّى ، أو فضولاً يشذّب . والنثر فى رأى فلوبير لم ينته ، وهو فى رأينا لا يمكن أن ينتهى ، لأن صور الجمال لا تنفد ، وغاية الكمال لا تُدرك .

والمزية الظاهرة للإيجاز على الإطناب أنه يزيد فى دلالة الكلام من طريق الإيحاء . ذلك لأنه يترك على أطراف المعانى ظلالاً خفيفة يشتغل بها الذهن ، ويعمل فيها الخيال ، حتى تبرز وتتلوّن وتتسع ، ثم تتشعب إلى معان أخر يتحملها اللفظ بالتفسير أو بالتأويل ، والقرآن الكريم معجزة الدهر فى هذا الصدد

وليس بسبيل الإيجاز البلاغى من يقص أجنحة الخيال ويطفىء ألوان الحسن ، ويترك أسلوبه كأسلوب التلغراف ، شديد الاقتضاب والجفاف ، على نحو ما يدعو إليه بعض أدبائنا المعاصرين ؛ فإن الإيجاز ، مهما قيل فى جلالة خطره ، صفةٌ من صفات البلاغة الثلاث لا يغنى عنها ولا تغنى عنه

ولقد كان لإطناب الفرس مساغ فى أذواق العرب أوّل ما قطّرت به أقلام عبد الحميد وابن المقفع والحسن بن سهل ومن لفّ لفّهم ، لاقتصارهم منه على ما يصحح الازدواج ويقيم التوازن ، كقول عبد الحميد : « واعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك ، ويفترص غفلتك ، لأنها خُدع إبليس ، وخواتل مكره ، ومصايد مكيدته ، فاحذرها مجانباً لها ، وتوقّها محترساً منها ... الخ » . فلما اشتد خلاط العرب للفرس تداخلت اللغتان ، وتمازجت العقليتان ، وأصبح تعاقب الجمل على المعنى الواحد سمة الأسلوب فى ذلك العصر ، حتى قال ابن قتيبة فى قول يزيد لمروان وقد تلكأ فى بيعته : [ أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى فاعتمد على أيهما شئت ] : « إن هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب . والصواب أن يطيل ويكرر ، ويعيد ويُبدئ ، ويحذّر وينذر »

وظل الفن الكتابى يتخبط فى ذلك الفضول ، ويتعثر فى تلك الذيول ، لا يسدده توجيه ، ولا يهذبه نقد ، حتى اتصل بالأدب الأوربى فى هذا العصر ، فتحدد لفظه ، وتجدد أسلوبه ، وانبعث شبابه الفتىّ الغض من القرائح الموهوبة ، ساقى الديباجة مشرق البيان ، إلا عقابيلَ مما تركت عصور الضعف والجهالة بقيت على الأقلام المرضوضة تكريراً للفظ ، وترديداً للمعنى ، وتوليداً لنوع آخر من أنواع الاجترار الأدبى يعبر عنه الأديب زكريا إبراهيم فيما كتب إلىّ بقوله :

« شاع بين أدبائنا اليوم نوع جديد من الأدب ، نستطيع أن نسميه بحق أدب ( الدردشة ) . وهذا الأدب الجديد يصدر عن نزعات فنية حديثة ، لأنه كلام يقال لمجرد الكلام ،

احمد حسن الزيات

( البقية على صفحة ٢٤٠ )

# الحديث ذو شجون

## للدكتور زكي مبارك

---

### بين الإنسان القديم والإنسان الجديد

تكلمت بعض المجلات السورية واللبنانية عن قلة اهتمام الأدباء المصريين بما يسمونه «أدب الحرب» ورأت في ذلك تضييعاً لإحساسات تستحق التسجيل، ونصت بالذات على خلوّ أدبي من أحاديث الحرب، والتفاتي إلى شؤون لا تمس أهوال الحرب من قريب ولا من بعيد

وأقول إن موقفي وموقف سائر الأدباء المصريين من الحرب هو موقف الإنسان الجديد، وهو يختلف عن الإنسان القديم كل الاختلاف أو بعض الاختلاف

وتفصيل ذلك أن الإنسان اليوم يدرك أكثر مما يشعر، وكان الإنسان قديماً يشعر أكثر مما يدرك، والفرق بعيد بين الشعور والإدراك

إن حروب طروادة المشهورة في التاريخ القديم أنطقت اليونان بأعظم القصائد وأعمق الأقاصيص، وهي حروب تعتبر ألعاب أطفال بالنسبة إلى حروب هذه الأزمان، ومع ذلك لن يكون في شعراء هذا الجيل من يؤرخ الحروب الحاضرة، كما أرخ القدماء تلك الحروب

الإنسان القديم كان يحارب وهو مدفوع بعوامل الازدهاء والاختيال، أما الإنسان الجديد فيحارب وهو مدفوع بعمليات حسابية تراعى فيها الخسائر والأرباح، فالفرق بين هذين الإنسانين هو الفرق بين الشاعر والحاسب، وثروة الأول أحلام، وثروة الثاني أرقام

كانت أعظم موقعة في بداية هذه الحرب هي موقعة دنكرك وقد انسحب منها الإنجليز، فكيف كان شعورهم عند الانسحاب؟

أنا لا أظن أنهم حزنوا، وإنما أرجح أنهم فرحوا، لأن الغاية من الحرب هي الربح، الربح الذي يفهمه الإنسان الجديد، وهو ضمان السلامة في الأموال والأرواح.

### شاهد طريف

إذا تصاول أسدان كان على الأسد المغلوب أن ينسحب إلى أن يتأهب لاستئناف الصيال، وإذا تقاتل ديكان كان على الديك المغلوب أن يثبت في الميدان إلى أن يموت

وكان ذلك لأن الأسد يدرك أكثر مما يشعر، وأن الديك يشعر أكثر مما يدرك، والشعور أحط مرتبة من الإدراك، فما في الوجود شعور أقوى من شعور الأطفال

وأبو تمام الذي بلغ الغاية في الرثاء بهذا البيت في وصف أحد المستشهدين

وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردَّه ... إليه الحفاظ المرُّ والخُلُق الوعر

هو نفسه أبو تمام الذي اختار في ديوان الحماسة أبياتاً في تبرير الهرب من ميدان القتال، وهي أبيات بعيدة من روح الحماسة، ولكنها من شواهد العقل، فقد علل الشاعر هربه من الميدان بأنه يفر من أعدائه «طمعاً لهم بعقاب يوم مرصد»، ثم قال:

وعلمت أني إن أقاتل واحداً ... أُقتل ولا يضرر عدوي مشهدي

وعلى هذا يكون إيثار العقل على الشعور في ميادين القتال مما آمن به العرب قبل مئات السنين، وبهذا كان هذا الشاعر من تباشير الإنسان الجديد

### أدب وأدب

الأدب الأول سبق تسهيل المواصلات، والأدب الثاني جاء بعد تسهيل المواصلات، فاختلفت الصور هنا وهناك

جان جاك روسو لن يُخلق بعد اليوم، فما تسمح الدنيا في أيامنا هذه بأن يتشرد فتى مثل هذا الفتى، بحيث يقطع مئات الأميال على قدميه، وبحيث ينفعل بمناظر السهول والجبال، فيكتب الروائع في وصف ما رأت عيناه وهو ينتقل من مكان إلى مكان في الشهور الطوال

أدب الرحلات سينقرض، ولعله انقرض، بسبب ذيوع السفر بالطيارات، وهو سفر لا يتيح أية فرصة لدرس ما تمرّ عليه من مختلف البلاد

وأدب التشفي والانتقام لن يعود، وهو الروح الذي أملى

على أبي تمام هذه الأبيات عند حرق المعتصم مدينة عمورية :

ما رَبعُ ميةَ معموراً يطيف به غيلان … بهى ربًى من ربعها الخرِب

ولا الخدود ولو أدمين من … أشهى … لى ناظر من خدها الترب

سماجة غنيت منها العيون بها عن … حسنٍ بدا أو منظر عجب

وحسنُ منقلب تبقى عواقبه جاءت بشاشته من سوء منقلب

فما تقبل اليوم الشماتة بمدينة … ترق ، ولو كان أهلها من أخطر الأعداء

ولأبي تمام عذر فيما صنع فقد استطال امبراطور الدولة الرومانية الشرقية ثم استطال … كانت نيته أن يزعزع هيبة الإسلام في الشرق ، فلم يكن بد لأ … المؤمنين المعتصم بالله من تأديب تيوفيلس بإحراق مدينته التي أ… ت المحاربين من أكابر الملوك

والإنسان الجديد يتمثل في … نابوليون يوم دخل موسكو ، فقد راعه أن يحرقها الروس … عنف النيران ، وكان يتمنى أن تعيش بعافية ، ليبلغ من … ميرها ما يريد ، وإن كان فاته أن يفهم أن بداوة الاستقلال أفضل من حضارة الاحتلال

والإنسان الجديد يتمثل في حكومة فرنسا يوم رأت أنها ستنهزم في هذه الحرب ، فقد … بت إعفاء باريس من القتال ، لتسلم باريس وهي عصارة أجيال … أجيال

## متاعبنا الجديدة

الحرب عندنا ليست بحرب ، ألم أقل لكم إنها عملية حسابية في نظر الجيل الجديد ؟

والتاريخ ليس عندنا بتاريخ ، وما أضيع من يعيش في ضيافة التاريخ !

متاعبنا الجديدة هي أن … نعرف سرائر نفوسنا معرفة لا يفسدها التزييف

يجب أن نفهم ماذا نريد من الحياة ، وماذا تريد منا الحياة فإن حددنا الجواب عن هذين السؤالين فسنمضي إلى الغاية المنشودة بلا إبطاء

ندخل حدائق الحيوان بالقاهرة أو بأي مدينة فنرى جميع أصناف الحيوان في أمان من الانحراف ، لأنها بعيدة من جهالة الناس ، ففي الناس أعور وأعمى وأكمه وأبرص ، والحيوان لا يعاني هذه العاهات ، لأن خلو حياته من التعقيد يضمن لها السلامة والبقاء .

## تكريم الدكتور طه حسين

قلت مرة : إن الأدب الحديث يحتاج إلى مؤرخ مثل أبي الفرج الأصبهاني ، ففي حيوات أدباء هذا العصر أشياء تستحق التسجيل ، وإن بدت من توافه الأشياء

وأنا سأحاكي أبا الفرج في منهاجه الأدبي فأقص قصة يرتاح لها القراء ، لأنهم سيقرأونها مبتسمين ، والابتسام يفوق جميع الأثمان :

نشرتُ في جريدة المصري كلمة أدعو بها إلى تكريم الدكتور طه حسين ، بمناسبة ظهور الجزء الثالث من كتابه « على هامش السيرة » ، وأنا موقن بأن الناس سيقولون :

« لأمرٍ مّا دعا زكي مبارك إلى تكريم طه حسين »

ولم أتهيب هذا القيل ، فقد علمت من أساتذتي في باريس أن أخطر مقتل في شمائل الفرنسيين هو تهيبهم من أن يقال ، عند مواجهة الأعمال

Qu'en dira-t-on ?

وقد وقع ما توقعت ، فقد نشرت مجلة الإثنين كلمة « لطيفة » سجلت بها دعوتي إلى تكريم الدكتور طه بعد أن كنت من خصومه الألداء ، وحدثني صديق أن ناساً من خلق الله زعموا أني أحاول استعطاف المستشار الفني لوزارة المعارف ، لأظفر بدرجة ترفعني إلى الصف الذي ارتقى إليه بعض النجباء من تلاميذي

ولقد أحزنني ما قرأت وما سمعت ، فما خطر في بالي أن لي

# محاورات المــــوتى

## المحاورة الأولى

للكاتب الفرنسى برنار بوفييه دفونتنيل (*)

بقلم الأديب يوسف روشا

## اسكندر وفرن

فرن : عاهرة مشهورة عاشت فى أثينا حوالى سنة ٣٢٣ق . م . وكانت حظية لبراكستلس الذى أخذ رسمها . ويقال إن أبلس رسم صورته « فينوس » بعد أن رأى فرن عند ساحل البحر عارية وقد أسدلت شعرها المتدودن . لقد غدت فرن ، بفضل سخاء عشاقها الكثيرين ، غنية إلى حد أنها رغبت فى إعادة بناء طيبة التى دمرها اسكندر على نفقتها ، ولكن رغبتها لم تجب

رودوب : حظية يونانية مشهورة جمت ثروة طائلة ؛ ورغبة منها فى تخليد اسمها شيدت أحد أهرام مصر

اسكندر الثالث : الملقب بالكبير ولد سنة ٣٥٥ق . م . كان تلميذاً لأرسطو لخمس سنوات ، وهو الذى دمر طيبة وأعلن الحرب على الفرس وغزا آسيا الصغرى ، وبسط سلطانه على مصر وسوريا وفارس . توفى فى بابل سنة ٣٢٣ بعد حكم دام اثنى عشرة سنة أحرز فى أثنائها انتصارات متوالية بارعة

ديموستين : خطيب أثينى شهير قال عنه شيشرون — وقد كان ندا له بين الرومانيين — إنه شخصية فذة قلما يجود التاريخ بمثلها

### المحاورة :

فرن : لو أنك سألت جميع سكان طيبة الذين عاشوا فى زمانى ، لقالوا لك كيف عرضت عليهم إعادة بناء جدران طيبة التى دمرتها أنت على نفقتى ، بشرط أن يقيموا لى نصباً يكتب عليه هذه العبارة : « لقد دمر اسكندر الكبير هذه الجدران ، ولكن الزانية فرن أعادت بناءها »

اسكندر : إذن أنت خائفة من أن تجهل الأجيال القادمة الحرفة التى كنت تمارسينها ؟

فرن : وماذا علىّ من ذلك ؟ لقد بلغت بها الذروة . وإن الكافة المتازين من الناس ، مهما تكن حرفتهم ، لولعاً جنونياً بالأنصاب

اسكندر : صحيح أن لرودوب نصباً قبلك ؛ فقد عرفت كيف تستغل جمالها لتبنى أحد أهرام مصر الشهيرة ، ولا يزال قائماً حتى الآن . وأذكر أنها كانت أمس تتحدث عنه إلى أطياف بعض الفرنسيات اللاتى كان لهن — على زعمهن — رقة وجمال ، فأخذن ينتحبن قائلات : إن الجمال فى بلدهن ، وفى العصر الذى عشن فيه ، لم يكن ليجلب ثروة كافية لبناء هرم

فرن : ولكنى أمتاز عن رودوب بأنى أعدت بناء جدران طيبة ، وبذلك جعلت نفسى فى صفك أنت الذى كنت أعظم فاتح فى العالم . ألا ترى كيف استطاع جمالي أن يصلح ما أنزلته شجاعتك بالبلاد من تخريب وتدمير !

اسكندر : انت تتطرقين إلى شيئين ليس إلى عقد المقارنة بينهما من سبيل . إذن أنت فخورة أن يذاع عنك بأنه كان لك عشاق كثيرون ؟

فرن : وأنت ، ألست فخوراً بتدميرك أكبر قسم من العالم ؟ لو أن فى كل مدينة خربتها (فرن) لما بقي أقل أثر لجنونك

اسكندر : لو قدر لى أن أعيش مرة أخرى لما تمنيت أن أكون إلا فاتحاً عظيما

فرن : وأنا لو رجعت إلى الحياة لما تمنيت إلا أن أكون غازية للقلوب . إن للجمال حقاً طبيعياً فى السيطرة على الرجال على حين أن الشجاعة تفرض حقها على الناس بالقوة والبطش . فالنساء الجميلات عرش فى قلوب الناس قاطبة مهما تكن جنسياتهم ؛ ولا كذلك

(*) ولد برنار بوفييه دفونتنيل فى روان فى اليوم الحادى عشر من شهر فبراير ١٦٥٧ وتوفى فى باريس عن مائة سنة . وكان أبوه محامياً مقيما فى روان وأمه أخت بيير كورنى

بدأ حياته محامياً نزولا على رغبة أبيه ، ولكنه لم يلبث أن ترك المحاماة واشتغل بالأدب وألف دفونتنيل عدة مسرحيات أخفقت كلها ، ولكنه لم يكد يخرج «محاورات الموتى» حتى بزغ نجمه وانتشرت شهرته وهذه المحاورات خمس سننشرها تباعاً

---

مسألة عند الدكتور طه حسين ، ولا أنا أستجيز استغلال النقد الأدبي لنفعة شخصية ، ولا أنا أقبل عطفاً من أى إنسان فى أى حال . والدكتور طه نفسه يعرف هذا الجانب من أخلاق ، ويعرف أنى لا أقبل منه ولا من غيره أية مساعدة ، لأنى أغنى منه ومن جميع الناس ، بفضل النعم التى يسوقها الله إلىّ بغير حساب ، وأنا أخشى أن تقتلنى هذه النعم ، كما تصنع الأزاهير والرياحين بمن يعانقها فى ليلة صفاء

زكي مبارك

الملوك والفاتحون . ولأقنعك أكثر من هذا أقول : إن أباك فيليب، الذى كان شجاعاً مقداماً كما كنت أنت، لم يستطع هو وأنت أن تدخلا الرعب فى قلب الخطيب المصقع ديموستين الذى قضى حياته كلها يخطب ضدكما ، على حين أن فرين أخرى كانت ذات مرة على وشك أن تخسر قضية هامة جداً ، وإذا بمحاميها ، وقد بذل لأجلها كل ما يملك من الفصاحة والبلاغة بلا جدوى ، يرفع عن وجهها النقاب فيبهر جمالها الحكام فيحكمون لها أن أوشكوا أن يحكموا عليها . ألا ترى كيف أن صلصلة أسلحتك كل هذه السنين التى حكمتها لم تقو على كم فم خطيب واحد ، على حين أن سحر فتاة جميلة أفسد فى لحظة حكام أراكوس القساة

اسكندر : بالرغم من استنجادك بفرين أخرى فإنى لا أعتقد أن جانب اسكندر قد ضعف كثيراً . ومما يدعو إلى الأسف أنه لو ...

فرين : أعرف ما تريد أن تقوله : اليونان ، آسيا ، فارس ، الهند ... كل ما من شأنه أن يبهر العالم بالطنين والرنين . ومع هذا إذا أنا أسقطت من مجدك كل ما ليس لك ، فأعدت إلى جنودك وقوادك ، وحتى إلى الحظ الذى ساعفك ، نصيبهم من الظفر الذى هم له أهل ، فهل تعتقد أنك لن تخسر بذلك كثيراً ؟ ولكن المرأة الجميلة لا يشاركها أحد فى غزواتها ، فليس لأحد عليها فضل ، بل الفضل كله لها . أقول لك الحق إنه لمركز جميل ... مركز المرأة الحسناء

اسكندر : يظهر أنك جد مقتنعة بما ذهبت إليه من أمر هذه المرأة الحسناء . ولكن أتتصورين حقاً أنها تصل إلى هذا الحد الذى وصفت ؟

فرين : كلا ... كلا ... فسأكون منصفة معك . أنا أعترف بأنى قد أسأت وصف شخصية المرأة الحسناء كل الإساءة . أنا وأنت ... لقد كانت لنا غزوات وغزوات . فلو كنت اكتفيت بعشيقين أو ثلاثة على الأكثر لكان ذلك من طبيعة الأشياء ، وليس ثمة ما يدعو إلى الانتقاد . أما أن يكون لى من العشاق جيش أستطيع معه إعادة بناء طيبة فشطط ما بعده شطط . ولو أنك كذلك لم تغز سوى اليونان والجزر المجاورة وقسم من آسيا الصغرى ، إذا لم يكن من ذلك بد ، وأسست لك منها مملكة لكان ذلك مفهوماً منقولاً . أما أن تخبط خبط عشواء فتأخذ المدن دون أن تعلم لماذا تأخذها ، وتفرغ من غزو إلى غزو من غير أن يكون لك خطة معينة أو هدف معقول ؛ كل ذلك لا تستسيغه العقول النيرة

اسكندر : ليقل أصحاب العقول النيرة ما يشاءون . فلو أنى استعملت شجاعتى وحظى بحكمة لما تحدث عنى أحد

فرين : وأنا أيضاً لو كنت استعملت جمالى بفطنة لما ظفرت بهذه الشهرة الواسعة . على أنه كلا أريد إحداث ضجة فى العالم ، فليس أحصف الناس وأعقلهم هم الذين يصلحون لها .

( بغداد ) **يوسف موشا**

---

مرسلات مع الريح

# يا عـــــدوى

## للأستاذ إسماعيل مظهر

منذ خمسين سنة ونيف كنّا نقطن حيا من الأحياء الوطنية القديمة لا يزال يسمى الدرب الأحمر . ولعله اكتسب هـذه التسمية من دماء المماليك التي انحدرت فى مسالكه من باب القلعة إلى باب الوزير ، عند ما استأصلهم الكبير محمد على واستأصل معهم شأفة الفساد والشر . وكان النزل الذى نقطنه على رحابة أرجائه كأنه سجن له فناء ، ولا يطل منه على العالم الخارجى إلا نافذة واحدة طولها أمتار وعرضها شبر واحد ، كنا ننصت منها على جلبة الشارع ، فكنا إذا سمعنا مصطفى الزرّاب يغنى بصوته الرخيم أطلقنا لأرجلنا العنان ، واستبق بعضنا البعض إلى السلم ومنه إلى الفناء ، ثم من الفناء إلى الدهليز ، ثم من الدهليز إلى الدّرْكة ، فنرى عم جوهر جاثماً فوق السدّة فنحييه ، ثم نقفز إلى الشارع . وكان الزرّاب منادياً يأجره البعض إذا فقدوا شيئاً ، فينادى عليه فى الأزقة والحوارى والمسالك .

وذات يوم شهدناه ينادى عن معزاة فقدها جلاّد (بائع جلود) بجوار منزلنا . وكان رخيم الصوت يفتن فى النغم ويخلق من مناداته شهي اللحن ، فرأيناه ينشد المزاة بلغة عربيـة تشوبها العامية المقبولة ، وأخذ يسير ونحن وراءه ، حتى إذا أشرفنا على جامع المردانى وتجاوزنا باب قسم الدرب الأحمر ، انفتل يميناً إلى حارة الروم بعد أن صاح ( يا عدوى ) ، وكان يختم بها كل نداء . فترك عربيته وأخذ يقول : « يا خدرات الأروام : يا خواجات الخته : فيه واخد ميزه : أنده اتنين بلَـخّـه هينا (ويشير إلى جوزته) الشرّ بتاعه أحمر . البوز بتاعه أبيد . تمسك فلوس كويس لو جبته . يا خريستو» (بدلاً من أن يقول يا عدوى)

تذكرت هذه الحادثة بعد هذه السنين الطوال ، وتذكرت مصطفى الزرّاب عندما قرأت فى مجلة المصور مشروع كتابة العربية بالحروف اللاتينية الذى خرج علينا به سعادة عبد العزيز فهمى باشا عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية خروج الزراب من عربيته أمام جامع المردانى ، ينشد معزاته الضائعة : متوسلاً بالعدوى ، إلى لاتينية الأعاجم عند ما انتقل إلى حارة الروم مستنجداً بخريستو ، مستمداً منه العون . ولله الأمر من قبل ومن بعد

كذلك اعتقد كثير من الخرافيين فى العصور الوسطى أن الشيطان قد تدخل فى تصوير كرة الأرض . فقد رأوا أن لبلاد اسكنديناوه شكلاً خاصاً يغاير شكل بقية أجزاء الأرض ؛ ذلك بأنها أشبه بذراع ممدودة أخذت من حواشيها المُدى والسيوف فتركت به تلك الخلجان والقطوع المائية ، التى صلحت فى الأزمان الأولى أن تكون مقراً آمناً للقرصان الذين نشروا الرعب فى شمال أوربا ، وامتد إرهابهم إلى حوض البحر المتوسط ، رأوا ذلك فتخيلوا حادثاً كونياً محصله أن الله القادر على كل شيء بعد أن انتهى من عمل الخليقة ، تسلل الشيطان ليرى العمل الذى أتمه فى تلك الأيام السبعة التى تخلف فيها عن الظهور منه فوق العرش . فطاف ثم طاف ، حتى إذا وقع على سيارنا هذا ورأى ما فيه من جمال وحسن بالرغم من صغر حجمه ضاقت نفسه وساء سلوكه ، فاقتلع حجراً عظيماً قذف به كرة الأرض ، مقر الإنسان الجديد ، فاستقر الحجر فى بحر الجد الشمالى حيث اسكانديناوه الآن

ومن هذه الخرافة نستمد العظة . فكل جميل كامل الجمال ، وكل حسن كامل الحسن ، يأبى صلف الإنسان إلا أن ينتقصه من أطرافه ، لا بُد من أن يُرمى بحجر يقذفه شيطانه ، كذلك الذى قذف كرة الأرض بحجره العظيم ، فزاد من جمالها وضاعف من حسنها . أرأيت تمثال فينوس ميلون ؟ أفإن انحدر إلينا كاملاً بذراعه الجميلة ، أكنا نشهد فيه ذلك الجمال كله ؟ كلا فإن جمال الجزء الناقص ندركه من جمال الأجزاء الباقية . أضف إلى ذلك شعور العطف الذى نحسه إزاء ذلك الحجر المنحوت ، وذهول الكارثة التى أطارت منه الذراع . إن الجمال فيه

لم ينتقصه ، وإدراكنا لقيمة جماله وحسنه وروعته قد شابها المعنَّف عليه بحنو يبعث من وجداننا ما كان ليفوز به لو أن القدر أبقى منه تلك الذراع المفقودة

وما أشبه لغتنا العربية المجيدة بكرة الأرض وحادثها مع الشيطان ! فإن هذه اللغة مافازت بالبقاء دون أخواتها الساميات إلا لأسرار فيها يعجز عن إدراكها الفكر ويضل في بحثها التاريخ . وكل تعليل لهذه الظاهرة إنما هو تعليل ناقص ؛ فإن ذلك التيه الواسع الذى نسميه اللغة العربية إنما هو على اتساعه وحدة كاملة الأطراف متماسكة الجوانب ، إذا اقتلعت منه حجراً واحداً انهارت منه أركان ، وإذا زعزعت منه أساساً تداعت من حوله كثير من الأسس . فلقد تطورت هذه اللغة على مر السنين ، وتكاملت على كر الأعوام ، حتى أصبحت كالبناء المصبوب من الفولاذ ، ناحية النقص الواحدة فيه أنك لا تجد فيه منفذاً واحداً يمكنك من أن تضيف إليه جديداً منه ؛ غير أنه يظهر كالرقعة المهلهلة في الثوب الجديد الكامل النسق

وما الذى يحملنا على أن نفكر في الحروف اللاتينية لنكتب بها العربية ؟ ما الذى يحملنا على أن نحمل ذلك الحجر الثقيل على أكتافنا من بلاد اللاتين إلى صميم بلاد العرب ، لتقذف به لغة العرب ، فيلوب في بحرها الخضم ثم يلوب ، ومن بعدُ تبتلعه ، ولا نكسب من ذلك إلا تعب الحمل ، ووزرَ ذلك الشيطان الذى قذف كرة الأرض بحجره الثقيل ، فلم ينتقصها وإنما ابتلعه جمالها فزادت به جمالاً ، ولم يغير من طبيعتها وإنما زاد إلى تاريخها فصلاً محجوجاً مكروها . إنما يكون مثلنا في هذه الحال كالشمطاء التى أبت إلا أن تنتقص جمال حسناء ، حقداً وكيداً ، فاجتزّت خصلة من لمتها ، فبدت غرتها أجمل وأفتن

حاول الأستاذ عبد العزيز فهمي باشا أن يصلح من اللغة العربية بمشروعه ذلك الذى نشره في المصور ، بأن يجد طريقاً يسهل على الناس قراءة العربية صحيحة كما تلقيناها عن الفصحاء . وأشار من طرف خفى إلى حروف الحركة ، كأن اللغة العربية ليس بها حروف حركة ؛ ولكنه نسى أن العربية تمتاز على جميع لغات العالم من هذه الناحية . نسى أن بها حروف مد وحروف حركة . فإن حروف الألف والواو والياء ليست في الواقع حروف حركة في اللغة العربية وإنما هي حروف مد . فإذا قلنا مثلاً « كتاب » فالألف هنا ليست حرف حركة وإنما هى حرف مد تطول معه حركة التاء . أما حروف الحركة فهى في الواقع الحركات الفتح والضم والكسر والسكون ، فصلت عن بقية الكلمة لتدل على حركة حروفها ، وهو نوع من الاختصار لا تجد له مثيلاً في لغة من لغات الأرض ، ولون من الجمال الواضح والوحدة السليمة تمتاز به هذه اللغة العجيبة دون غيرها من اللغات . وسبحان الله إذ يصبح الكمال في نظر بعض الناس نقصاً ، والجمال قبحاً ، كأنما نحن نمل أن نتعلم لغتنا على أساسها الصحيح ، ومن طريقها الواضح الذى شرحه العلامة الأستاذ عرفة على صفحات الرسالة ، إنما نحن نعبر بمثل هذه الآراء التى يعرضها الباشا الكبير عن ملل واضطراب

وما أريد أن أتكلم عن تراث العرب والعربية ، وما أريد أن أتكلم في أن هذه اللغة لغة دين ولغة أدب وعلم وفن انحدرت إلينا من خمسة عشر قرناً إلا قليلاً تحمل إلينا في تضاعيفها مشعل الماضى مضيئاً . لا أريد أن أتكلم في شيء من هذا فإنه بمثابة القول المعاد ، وإنما أريد أن أقول : إن هذه النزعات نزعات يبعثها ضعف في القومية واستهتار بتراث العرب الموروث ونبذ لكل تقليد قديم تلقيناه عن أصولنا

إننا لا نعلم اللغة العربية في مدارسنا وإنما نعلّم بعض قواعد منها . ولا يسمع الطالب لغة فيها شيء من العربية الصحيحة إلا من معلم اللغة العربية ، فإذا احتك بعلم الحساب أو الهندسة أو الجبر أو التاريخ الطبيعى أو غير ذلك لم يسمع إلا العامية ، لغة سقيمة مهلهلة . فأين نحن من تعلم اللغة العربية ؟ بل إن بعض طلبتنا في بعض الكليات يتلقى دروسه من أستاذه باللغة العامية ثم يذاكر الموضوع بالإنجليزية . فهل سمعتم بمثل هذا في أنحاء كرة الأرض ؟ هل سمعتم بأن مثل هؤلاء الطلبة يستطيعون أن يدركوا شيئاً من أسرار لغتهم وهم على مثل هذا الوضع ؟.

يا سعادة الباشا قل معنا يا عدوى ؛ فإننا لن نقول معك يا خريستو أبد الدهر .

اسماعيل مظهر

# الجمعية الملكية (*)

## للأستاذ خليل السالم

لم تمتع جمعية علمية بحياة طويلة ثابتة المبدأ متصلة الكفاح باهرة النجاح كما تمتعت الجمعية الملكية في لندن، مع أنها ليست أقدم[1] الجمعيات العلمية في العالم؛ فهي تعود في تاريخ تأسيسها إلى الحرب الأهلية، إذ اجتمع سنة ١٦٤٥ نفر من رجال العلم الذين يفيضون غيرة وحماسة، ويأنفون أن تتخبط البلاد في المنازعات السياسية والعصبيات الدينية، وأرادوا أن يتوجهوا بالفكر إلى ميادين أسمى وأكثر جدوى، وجعلوا غرضهم المباشر فهم قضايا الفلسفة التجريبية التي ظهرت على مسرح فكرهم حديثاً. وقد عقد الاجتماع الأول في كلية جريشام Gresham في مدينة لندن. ونقل مكان الاجتماع إلى كلية وادهام Wadham College من جامعة أكسفورد عندما انتسب جون ولكنز John Wilkins مدير هذه الجامعة إلى المؤسسة الناشئة، وكان من أوائل منشطيها ومشجعيها

وفي سنة ١٦٦٢ أصدر الملك شارل الثاني مرسوماً بتأسيس الجمعية، واعتبارها هيئة تعاونية رسمية. ويصلح هذا التاريخ أن يكون بحق فجراً جديداً في تاريخ العلم، ومبدأ نهضة وهاجة السنا باهرة الإشراق. وكيفما كانت الصورة الماجنة المستهترة التي تقدمها كتب التاريخ عن مؤسس الجمعية الأول شارل الثاني، فلا ريب أنه كان يقدر العلم والعلماء، ويرى ببعيد نظره ما يمكن أن يدر تشجيع العلم على ثروة البلاد من المغانم الكبرى والربح الوفير. وكان سياسياً حاذقاً ومثقفاً واعياً عندما اكتسب لنفسه لقب مؤسس الجمعية الأول. وكان مدركا لروح العصر الجديد الذي تميز بهدم تعاليم أرسطو على يد نبي العلم « بيكون »، وبنبذ الخرافات والشعوذات، وبالانصراف عن العلم المنقول إلى الطريقة التجريبية والتحقيق العلمي

وكان هدف الجمعية كما ورد في مرسوم تأسيسها « تحسين المعرفة الطبيعية ». وناضلت الجمعية في سنيها الأولى نضالاً عنيفاً قاسياً، فلم يمدها مؤسسها الأول بالمال الذي رصده لها، كما لم يتمكن أعضاؤها من دفع رسم الاشتراك، أو لم يرد بعضهم ذلك. إلا أنه لما تبوأ نيوتن كرسي الرياسة (١٧٠٣—١٧٢٧) تحسن دخل الجمعية، لأن العلم المنظم وصل مستوى عالياً من النجاح والتطبيق على يد العالم العبقري الفذ نيوتن الذي فرض احترامه واحترام نظرياته واكتشافاته على الوسط العلمي، واستفاد القرناء Fellows منه، وشعروا بشرف الاشتراك معه في العمل والبحث. ولم تحظ الجمعية برئيس بث الدم فيها وأحيا مواتها وجدد حياتها ورفع من قيمتها كنيوتن إلا في القرن الثامن عشر عندما تولى مقاليدها السر جوزيف بانكس Joseph Banks؛ فقد تحددت مزايا الجمعية في ذهنه واضحة صريحة، وانتهى إلى أن الفائدة المرجوة والثمرة المنشودة لن تدنو قطوفها إلا بحماية رسمية، فقبل في عضوية الجمعية أشخاصاً لم يكونوا علماء بكل ما في الكلمة من معنى. وبالرغم من اتهامه بالتفريط في حق العلم والعلماء والهجوم الشديد الذي وجهه إليه أعداؤه، فإنه استطاع أن يجعل من أولئك الأعضاء أصدقاء للعلم واستخدمهم لجمع المال الضروري للبحث العلمي. لم يتسن للحكومة أن تسيطر على الجمعية وتستغلها في مصالحها الخاصة، ولكن علاقات وثيقة ودية كانت تربط الجمعية بالسلطة. فاستعان بإرشاداتها ملوك وساسة ومديرو مصالح، وعرضت الجمعية خدمتها على الحكومة في كل مناسبة

(*) عن الانجليزية مع إضافات وتعليقات جمة

(١) انبث من إيطاليا أولا نور عصر الأحياء فسبقت إلى تأسيس الجمعيات العلمية، فتكونت في نابلي « مدرسة الأسرار الطبيعية » سنة ١٦٥٠، وتأسست جمعية فلورنسا سنة ١٦٥١، وجمعية في روما على أيام جاليليو. أما أكاديمية العلوم الفرنسية فقد بدأت عملها سنة ١٦٦٦، وجمعية برلين على يدي ليبنتز سنة ١٧١٠، وجمعية بطرسبورج على عهد بطرس الأكبر سنة ١٧٢٥

كانت مصلحة الوطن فيها تستدعى الجهد العلمى الرسمى . واعترافاً بمثل هـذه الخدمات القيمة رصـد البرلمان الإنجليزى سـنة ١٧٧٨ وما بعـدها مخصصات باهظة لتضخيم ميزانية الجمعية .

ونتعب إن حاولنا تقصى المناسبات التى حلت فيها الجمعية مشاكل رسمية . ولكننا نرى اليوم عشرات القرناء منهمكين فى الاختبارات العلمية التى تسرع بربح الحرب والتى تختلف بين تأمين الطعام لجميع أفراد الأمة وبين ابتكار أقوى الأسلحة الحربية فتكا وتدميراً .

يبلغ عدد أعضاء الجمعية ٤٥٠ عضواً منهم ٥٠ عضواً أجنبياً . وبينما كانت مقاعد الجمعية تضم فى وقت ما كل علماء انجلترا أصبحت اليوم ضيقة بهم ؛ مما جعل الانتساب إلى الجمعية حلماً عبقرياً يتردد فى ذهن كل عالم ، وشرفاً كبيراً تتجه إليه الهمم ... والواقع أن العضو فى الجمعية يحرز فوائد مادية جمة فضلاً عن مظاهر التكريم والإجلال . سئل أحد القرناء الأطباء عن معنى الأحرف الثلاثة F.R.S.[1] التى تلحق باسمه . فأجاب بأنها تعنى : Fees Raised Since أى أن أجوره ارتفعت بعد أن أضيفت هذه الأحرف إلى اسمه . ومن هنا كان الانتساب إلى الجمعية يقتضى كفاية نادرة وسبقاً علمياً معترفاً به فى أحد ميادين المعرفة . ولا يرشح أحد العلماء للعضوية إلا بعد أن يزكيه ستة أعضـاء على الأقل بشرط أن يكون بينهم ثلاثة خبروا معلومات المرشح ومؤهلاته واكتشافاته واتصلوا به اتصالاً شخصياً . وبعد مشاورات طويلة يعرض مجلس الجمعية كشفاً بأسماء المرشحين ويجرى الانتخاب فى آذار من كل عام . وتوزع الجمعية يوم ٣٠ نوفمبر دائماً عدداً من الأنواط على السابقين من أعضائها المشهود لهم بالفضل والنبوغ

ويدير شئون الجمعية مجلس يتألف من ( ٢١ ) عضواً يجدد انتخابهم كل سنة . أما رئيس الجمعية وسكرتيرها للمراسلات الخارجية فيبقيان فى منصبيهما خمسة أعوام . ويحتفظ أمين الصندوق وسكرتير الجمعية للأبحـاث البيلوجية وسكرتيرها للأبحاث الطبيعية بمناصبهم عشرة أعوام . ولا يحق لقرين غير هؤلاء أن يخدم فى مجلس الجمعية أكثر من عامين متتالين

وتساعد لجان خاصة مجلس الجمعية على تنظيم الميزانية وتوجيه البحث العلمى وطبع الكتب . وترصد الجمعية مبالغ طائلة لتمويل الجهود العلمية . ولكن أهم وظائف الجمعية نشر البحوث التى يتمها القرناء وشرح كشوفهم ، فهى تطبع سجلاً سنوياً يضم أحدث الأبحاث العلمية التى يحرص رجال العلم المنتشرون فى كل بقاع الأرض على درسها وفهمها

ولا تتأثر الجمعية بنزعات الجنس والدين ؛ ولها اليد الطولى فى شيوع النظريات العلمية والدعوة إلى اتحاد علمى عالمى ، والبلوغ « بدولية العلم » مستوى يكاد يقرب من الكمال

وتضم مكتبتها ما يزيد على (١٥٠) ألف مجلد ، وتقتنى أوفى مجموعة لمنشورات الأكاديميات العلمية فى جميع أقطار المعمورة ؛ وقيودها وسجلاتها مصدر تاريخى لا نظير له استفاد منه كثير من طلاب العلم

وكلمة أخيرة ، عن كنوز الجمعية . ففى ردهاتها لوحات رسمها أمهر الفنانين البريطانيين لأشهر علمائهم منـذ القرن السابع عشر حتى اليوم . وسجل الجمعية الذى وقع فيه جميع القرناء منذ تأسيس الجمعية كنز لا يثمن . وفيها صولجان أثرى يضعه الرئيس أمامه أثناء انعقاد الاجتماعات . وفيها المرقب العاكس الذى صنعه نيوتن . ومخطوطة كتاب « المبادىء » ـ ومنها نقلت الطبعة الأولى ـ وهناك فرجاران من مخلفات كرستوفر رن ، ومفرغة هواء هوكسبى ، وساعتا وقف من عمل أرنولد استعملهما كوك فى رحلتيه الثانية والثالثة حول العـالم ؛ ومصباح الأمن الذى اخترعه ديفى؛ وغير هذا كثير من الأجهزة العلمية التى كانت ملكا للجمعية ومتحتها لمتاحف العلم .

( السلط — شرق الأردن ) خليل السالم

(١) تشير الأحرف الثلاثة إلى : Fellow of the Royal Society

# منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها

## للأستاذ سعيد الديوه جي

– ٢ –

٥ – كرسي المختار وتخت يزيد : ثار « المختار الثقفي » على الدولة الأموية باسم محمد بن الحنفية ليجعل لدعوته صبغة دينية وهي الدعوة لآل البيت ، وأنكر ابن الحنفية أمره ، ولكن (المختار) من دهاة ثقيف ، فإنه لما وجد تثاقلاً من جيشه لحرب عبيد الله بن زياد أتى بكرسي وادعى أنه من مخلفات الإمام علي ، وأنه بمنزلة التابوت في بني إسرائيل لا يحمله جيش إلا كتب له به النصر . فكساه بالديباج وسلمه إلى إبراهيم بن الأشتر قائد جيشه وانتصر الجيش على (ابن زياد) وقتله ودخل ابن الأشتر الموصل . فحركة المختار ظاهرها لآل البيت وحقيقتها دعوة باطلة له . ووضع اليزيدية مقابل هذا الكرسي تخت يزيد وهو من المشاهد المقدسة عندهم يجاس عليه أميرهم ، وأمر التخت عندهم كأمر الكرسي عند أتباع المختار

٦ – وجاء في كتابهم المقدس : (مصحف رش[1]) قصة طريفة تؤيد ما ذهبنا إليه ، وهو عداؤهم لآل البيت وتأييدهم للحزب الأموي وهي : « ولنعد الآن إلى محمد بن الاسماعيليين فكان عنده خادم اسمه معاوية ؛ فنظر الله إلى محمد فرآه لا يسلك باستقامة فأوجع رأسه . فقال محمد لمعاوية : تعال احلق رأسي لتعاطى معاوية التزيين ، فأتى معاوية وحلق رأس محمد بخفة فجرحه وجرى منه دم كثير . فلما رأى معاوية الدم لحسه بلسانه خوفاً لئلا يقع على الأرض ، فقال له محمد : ما ذا صنعت يا معاوية ؟ أجاب : إني لحسته بلساني خوفاً لئلا يقع على الأرض . فقال محمد : لقد أخطأت بذلك فإنك تجذب وراءك أمة عظيمة وتتخاصم مع أمتي . فقال معاوية : لا أتزوج ولا أقع في العالم قط . ثم بعد زمان سلط الله على معاوية عقارب فلدغته ورشت سمها عليه . فلما رآه الأطباء جزموا عليه بالزواج وأتوه بامرأة يربي عمرها على الثمانين كي لا تحبل . فلما عرفها معاوية أصبحت في الغد ابنة خمسة عشرة سنة وذلك بقدرة الإله . فحبلت وولدت إلهنا الذي يسمى « يزيداً » وهذا قول صريح من كتابهم المقدس أنهم أعداء لآل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما أن نسب أمرائهم ينتهي إلى « يزيد بن معاوية » فلم يبق شك في أن أصل حركة اليزيدية كانت حركة لمناصرة بني أمية والدفاع عن حقهم في الخلافة ومناوأة « آل البيت » الذين خاصمهم الأمويون على الخلافة منذ صدر الإسلام

والسبب الذي جعل الجبال القريبة من الموصل مركزاً لهذه الطائفة هو : أن الموصل كانت مدينة أموية منذ الحكم الأموي . واهتم بها الأمويون اهتماماً كبيراً ، فوسعوها وسكنها جالية منهم وكانوا كثيراً ما يولون عليها أميراً من البيت الأموي . وممن تولاها : «سعيد بن عبدالملك ، والحر بن يوسف ، ومروان بن محمد» كما سكنها الخليفة « هشام » قبل أن يلي الخلافة وبنى له قصراً فخماً في ربضها الأسفل وغرس بها النخيل والبساتين . « والحر » صاحب « قصر المنقوشة » كان يملك القرى المجاورة لجبل « مقلوب » وهو أحد مراكز اليزيدية اليوم . وأن « ابراهيم الامام » منظم الدعوة العباسية كان يعرف حب أهل الموصل للأمويين ولذلك أوصى « أبا مسلم الخراساني » ألا يعتمد عليهم . وذكر « أبو زكريا الأزدي » مؤرخ الموصل وقاضيها في القرن الرابع الهجري أن الموصل بقيت أموية في الحكم العباسي ، ولهذا فتك بها العباسيون وقتلوا من أهلها ثلاثين ألف رجل سنة ١٣٣ هـ . وبعد سقوط الدولة الأموية فر كثير من الأمويين ومواليهم إلى الجبال المجاورة للموصل ، ومن هذه الجبال جبلاً « مقلوب ، ولالش » أو « المكارية » وأثروا على الأكراد الساكنين في هذه الأماكن وجعلوهم يميلون إلى بني أمية . ومما زاد في تأييد هذه الطائفة أن الموصل والجزيرة كانتا من مراكز الخوارج « الحرورية » وهم يحاربون كل حاكم ، واستمرت حركتهم إلى القرن الثالث الهجري . وكانوا كلما ضاقت عليهم الأرض لجأوا إلى الجبال المجاورة . ولا شك أنهم كانوا يلاقون ارتياحاً من الحزب

(١) النصوص التي نقلها من كتابيهم المقدسين « مصحف رش » و « الجلوة » نتركها على علاتها

الأموى الساكن فى هذه الجبال ، ونشروا مذهب الخوارج بين الأكراد ، كما أنه تأسست ( الدولة الحمدانية ) فى القرن الثالث الهجرى فى الموصل . وكان أمراؤها يميلون إلى آل البيت وحاولوا نشر المذهب الشيعى فى الموصل فلاقى قبولاً عند البعض وإعراضاً من الآخرين . وحدثت ثورات فى الموصل بسبب ذلك كانت بلا شك من تأثير الحزب الأموى . ثم جاءت بعدها الدولة العقيلية ، وكان أمراؤها متعصبين للمذهب الشيعى ، ولاقت مقاومة كذلك فى الموصل . كل هذه الأمور كانت تجعل العداوة مستمرة بين الحزبين العلوى والأموى ، واستمرت هذه العداوة فى تزايد حتى القرن السادس الهجرى ومجىء الشيخ عدى إليهم . فتحولت دعوتهم إلى طريقة صوفية عدوية

## الدور الثانى

### الشيخ عدى وتحول الحركة إلى طريقة « عدوية »

الشيخ عدى بن مسافر الأموى : يرجع نسبه إلى مروان ابن الحكم . ولد فى بيت فار من أعمال بعلبك ، وهاجر إلى الموصل وسكنها . ثم انتقل إلى جبال الهكارية ولزم طريق المجاهدة والخلوة والانقطاع عن الناس ، وكان ينتقل فى البرارى والقفار ويقتات من النبات

ثم بنى زاويته المشهورة فى جبل « لالش » وعكف عليه أهل تلك الديار لعلمه وصلاحه وانقطاعه إلى الله عز وجل . ولا شك أن صلة النسب بينه وبينهم كانت من أقوى الأسباب التى جعلتهم يرتاحون له . ولكن هذا الشيخ لم يكن من الذين تغرهم الدنيا ، بل نراه سلك بأتباعه طريق الرشد والصلاح وخفف من غلوائهم وعداوتهم لآل البيت . أما زهده فقد قال عنه الشيخ عبد القادر الكيلانى : « لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدى بن مسافر » ولعدى عدة رسائل فى العقائد والتوحيد وهى مؤيدة بالكتاب والسنة ، منها رسالة خطية فى مكتبة « مدرسة الحجيات » فى الموصل ، وهى من خيرة الرسائل التى ألفت فى هذا الباب ، سلك بها سبيل السلف الصالح ، ونراه يندد بالفرق الإسلامية المغالية كالقدرية والمجسمة ويرد عليهم فيقول فيها : « ونؤمن بما ورد فى الكتاب والسنة ولا نتعرض للتأويل بعد أن نعلم أن الله عز وجل لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء منها ، فإن كل ما تمثل فى الوهم فهو مقدره قطعاً وخالقه . وهذا الذى اندرج عليه السلف قبل ظهور الأهواء وتشعب الآراء . فلما ظهرت البدع وانتشر فى الناس التشبيه والتعطيل فزع أهل الحق إلى التأويل وتقرير مذهب السلف كما جاء من غير تمثيل ولا تكييف ولا تشبيه ولا حمل على ظاهر الخ .

ويقول فى القدرية واعتقادهم أن الشيطان خالق الشر : « وخلق تعالى إبليس عليه اللعنة وليس إليه من الضلالة شىء قال تعالى : « واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . وقوله تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك منهم من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين » ، لأنهم فتكوا فى الكفر فجعلوا إرادة إبليس لعنه الله وأنفسهم أقوى من إرادة الله تعالى . أراد الملعون إبليس المعصية فوجدت ، وأراد الله ألا تكون فكانت ، فجعلوا إبليس الملعون وأنفسهم أقوى من إرادة الله . والقائل بهذه المقالة تكذيبه بقوله تعالى : إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله . الخ ...

أما اعتقاده بالصحابة الكرام فهو يرى أن الأفضل هم الخلفاء الراشدون حسب ترتيبهم فى الخلافة ، ويرد على من يقدم الإمام علياً على الثلاثة السابقين . ويقول عن معاوية : ( إن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه خال المؤمنين ، رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحى الله تعالى ، أمين الله على وحيه ، شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ومات وهو عنه راض )

( للكلام صلة ) سعيد الديوه جى

# في «مجموع رسائل الجاحظ»

للأستاذ محمد طه الحاجري

تفضل الأستاذ الجليل «ناقد» فاستجاب للروح العلمية البريئة ، ولما وجهناه إلى جهرة الناقدين من دعوة خالصة ، فكتب عن «مجموع رسائل الجاحظ» فصلاً من فصوله الناقدة في الرسالة ، عرض فيه لحروف تعرضت - فيما يرى - للتصحيف أو التطبيع أو خطأ الرسم ، متهدياً في ذلك بذوقه الأدبي وبمحصوله اللغوي . وما زلنا نرجو منذ ظهر هذا المجموع أن يتاح له حظ النقد البصير ؛ فليس أحق من الجاحظ - كاتب العربية الأول - أن تتضافر القوى وتتعاون الجهود على جلاء آثاره وإبرازها في صورة أمينة دقيقة جديرة به ، بعد أن تعرضت آثاره مدى الأجيال الطويلة للكثير الوافر من عوامل التحريف والتشويه والمسخ . ومن ذلك كان لعناية الأستاذ العلامة الناقد بالمشاركة في جلاء هذه الطائفة من آثاره أجل الأثر في نفوسنا . وقد تجلت هذه العناية في هذا الفصل ، وقد وفق خير التوفيق في بعض ما عرض له ، وأما بعضه الآخر فإنا نرى فيه غير ما يرى

وإذا كنا نرى غير ما يرى في أكثر ما عرض له ، فمرد كثير من ذلك - فيما يظهر - إلى الخلاف بيننا وبينه في الأصل الأول في النشر . فالأصل عندنا في نشر أثر من الآثار العقلية هو إبراز صورة أمينة من ذلك الأثر ، بريئة مما تركته عليها الأجيال المختلفة ، والأيدي الجانية ، من تشويه أو تحريف أو تزوير . وسواء بعد هذا أن تجيء هذه الصورة كما نشتهي وكما نرجوها مثلنا ، أو أن تكون منحرفة عن هذه المثل . ذلك هو الأصل في النشر ، ومن هذا كان الناشر مقيداً في عمله بقيود مختلفة ، ومحكوما باعتبارات كثيرة ، تمسك يده أن تنطلق ، وتكف نفسه أن تتدخل ، ولا تدع لمزاجه الخاص أو محصوله العلمي سبيلاً إلى أن يفرض نفسه ، أو يطبع كلام المؤلف بطابعه ، أو يترك عليه أثراً منه . فأما الأستاذ العلامة «ناقد» فيظهر من اتجاهه فيما كتب عن المجموع أنه يميل قليلاً إلى تحكيم المثل في تحرير عبارة المؤلف

فمن ذلك تخطئته إيراد المثل : «كل مُجر في الخلاء يسبق» (ص ١٠٢ س ١٩) ، لأن المثل المشهور ، أو الصورة المشهورة له : «كل مجر في الخلاء يسر» ، وهو نفسه يقرر أن المثل صورتين أخريين : «كل مجر بخلاء يسبق ، وكل مجر بخلاء مجيد» فكأنما عز عليه أن يسوق الجاحظ المثل في غير صورته المشهورة ، وهذا ولا ريب نوع من تحكيم المثل الذي ذكرنا . وقد كان من الممكن أن نعتبر هذه الصورة المشهورة للمثل ، لا لأنها الصورة المشهورة ، ولكن لأن الجاحظ قد آثرها في أكثر من موضع في كتبه ، كما نرى مثلاً في الحيوان (١ : ٨٨ ، ٤ : ٢٠٧) وفي البيان والتبيين (١ : ٤٩) الخ ، وهذه إحدى الطرق المقبولة في تفضيل قراءة على أخرى ، ومع هذا آثرنا ما تعرضه علينا مخطوطتنا الوحيدة في هذا الموضع ، إذ ليس ما يدعو إلى فرض تحريفه ، ولأن الجملة التي زاوج الجاحظ بها هذا المثل تضعف احتمال الصورة المشهورة له ، فهو يقول : «كل مجر في الخلاء يسبق ، وكل مناظر متفرد بالنظر مسرور»

وكذلك أخذ الأستاذ الناقد علينا أننا ضبطنا هذا المثل : «لن تعدم الحسناء ذامّا» (ص ١٠٤ س ٨) بحيث تصبح كلمة الذام اسم فاعل من الذم لا اسماً بمعنى العيب ، إذ كان المثل : «لا تعدم الحسناء ذاماً» ، ثم ذهب الأستاذ يفسر كلمة الذام كأن المثل أغرب علينا ، فقاربنا وتصرفنا على ما فهمنا . والمثل بعد مشهور بتخفيف الميم ؛ ولكنا رجحنا أن الجاحظ تصرف في إيراد المثل على الصورة التي أوردناها ، ليستقيم مع سياق المعنى الذي يريد تقريره عن الحسد ، ودل عليه بكثير من الآثار والأمثال التي لا يستقيم معها ذلك المثل في صورته المأثورة ، إلا أن يكون الجاحظ ممن يلقي الكلام على عواهنه ، ولا يعبأ أن يستشهد بما لا موضع له ، ولا يتساوق مع غرضه ، ويخالف بين أطراف الكلام مثل هذه المخالفة ! ولكن الأمر الذي

لا يعبأ به الجاحظ حقيقة هو أن سرف فى المثل حتى يطوع له ، على ذلك النحو الذى لا بأس به

ومن هذا الباب أيضاً تحض لنا أن نثبت هذه العبارة : « واستذرأت فى ظلك » مهموز لأنه يقال ـ كما يحكى الأستاذ الناقد ـ استذرى بفلان أى الت إليه ، وفلان فى ذرى فلان أى فى ظله . وحسب الأستاذ ه ، لا لتكون الكلمة خطأ ، بل ليكون إثباتها منسوبة إلى احظ خطأ . وليست المسألة بهذا اليسر ، فيما نرى ؛ وإنما الـ نع الحقيق للمسألة هو : هل يمكن القطع بأن هذا الخطأ هو طأ الناسخ لا خطأ الكاتب ، وهل مثل هذا الخطأ مما لا سبي له إلى قلم الجاحظ ، إن كان لا بد من تسميته خطأ ؟

أما إنه لو صح لنا هذا لـ كان لنا أن نستبقيه ، ولوجب علينا أن نستبدل به ؛ ولكن الأمر هنا ليس كذلك . وما أكثر ما تتعاقب الياء والهمزة فى اللغة العربية ، لا فى باب الإبدال وحده ، بل فيما وراء ذلك ، فيما لا يندرج تحت تلك القواعد التى عنى بتنسيقها وبسطها علماء التصريف . وقد عقد أبو على القالى فصلاً فى أماليه فى « ما يقال بالياء والهمزة » إلى كثير غير ذلك من الكلمات التى لا تقع فى باب الإبدال الرسمى

ولقد جاء فى بعض الآثار الأدبية ما يدلنا على أن الفرق بين ما أصله الهمزة وما أصله الياء لم يكن من الفروق التى تحسها السليقة اللغوية إحساساً قوياً . من ذلك ما جاء فى شعر الأعشى على رواية يعقوب بن السكيت :

إذا انبطحت جافى عن الأرض بطنها
وخوأها راب كهامة جنبل

ويعلق أبو عبيد البكرى ، فى لآليه ، على هذا البيت بقوله : « وخوأها مما همز ولا أصل له فى الهمز » ثم يذكر أن الرواية الأصح ، لهذا السبب ، هى رواية من قال : « وخوّى بها » . وهذا ، فى أكبر الظن ، نوع من تحكيم المثل فى الرواية ، كالذى ذكرناه من تحكيم المثل فى النثر

ومثل هذا ما أخذوه على شاعر إسلامى ، هو المسعودى ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فى قوله :

شققت القلب ثم ذرأت فيه هواك فليم فالتام الفطور

فقد قالوا إنه أخطأ حين قال « ذرأت » ، وكان القياس أن يقول « ذريت » بالياء

وهكذا نرى أن وضع الهمزة موضع الياء ليس من الأخطاء المغلظة التى يجل الجاحظ عنها ، أو نأنف له أن يقع فيها ، فنزعم ما وقع من ذلك خطأ ناسخ يجب استصلاحه . وما دمنا لا نملك الدليل على أن وضع الهمزة موضع الياء من صنع الناسخ ؛ وما دمنا لا نبعد أن يكون هذا من عبارة الجاحظ ، فإن مايقترحه الأستاذ الناقد من وضع « استذريت » موضع « استذرأت » يعتبر نوعاً من تحكيم المثل فى النثر

فهذا نوع من المآخذ التى أخذها علينا العلامة الناقد . وهناك نوع آخر يرجع إلى العجلة ، أو إلى إخطاء الدقة له ، كقوله فيما علق به على قول الجاحظ ( ص ١١٠ س ١٧ ) : « لا سيما إن كان مع استبطان الحسد الخ » إذ يقول : « قلت جاءت ولا سيما فى هذا الموضع وفى غيره مجردة من ذينك الحرفين ، وأستبعد كثيراً هذا التجريد فى كلام المحدثين الأولين ، وإن أجاز ذلك نحاة من المولدين المتأخرين . وقد وردت اللفظة ومعها صاحباها فى ص ٢٤ ، ٦٨ » فلم تجئ « لا سيما » فى عبارة الجاحظ مجردة عن لا والواو ، بل عن الواو فقط ، على الصورة التى أوردناها فى هذه الفقرة

ومثل هذا ما جاء فى التعليق على هذه العبارة ( ٧١ : ١٦ ـ ١٧ ) : « وسواء ـ جعلت فداك ـ ظلمت بالبطش والغشم ، أو ظلمت بالدحس والدس » واقتراحنا وضع الدعس موضع الدس ، إذ كان ذلك أشبه ، فتوهم أننا إنما نضعها موضع الدحس ، ثم اقترح بدلاً من ذلك كلمة « الرس » . وهذا تقد قائم على التوهم المحض . وما كان لنا أن نقترح كلمة موضع كلمة نظيرة لها فى المعنى ، وليس ما يمنع منها

وهناك نمط ثالث من المآخذ يرجع إلى الخلاف على الرسم ، وما نحب أن يطول الجدل حول هذا ، إذ كانت قواعد الرسم

لم تتقرر بعد على أصل ثابت . وقد أخذ علينا الأستاذ الناقد أننا رسمنا التواطؤ مرة بالواو وأخرى بالياء ، ولعله حسب ذلك اضطراباً وتهافتاً ، مع أن كلا منهما يخضع لقاعدة من قواعد الهمزة المتطرفة ، على ما تنص عليه بعض المذاهب من أن الهمزة المتطرفة المكسورة ترسم ياء مطلقاً ، والمضمومة ترسم واوا إذا كان ما قبلها مضموماً . وكذلك جاءت كلة « التواطؤ » مرفوعة في (ص ٢٤ س ١٦) : « لا يمكن في مثله التواطؤ » ومجرورة في (ص ٤٠ س ١٩) : « وقام مجيء الأخبار من غير تواطيء ولا تشاعر مقام العيان » ، فالحالتان كما ترى مختلفتان

ومن هـذا الباب أيضاً تخطئته رسم كلة « غِنا » بالألف فهي – فيما يقول – مقصورة ترسم بالياء ، وممدودة ترسم بالألف والهمزة ، وهي هنا مقصورة بدليل كسر أولها ، فيجب أن ترسم بالياء ، ولكن لهذه الكلمة في عبارة الجاحظ اعتباراً آخر ، فهي ليست مقصورة فقط ، ولكنها مقصورة منونة ، أثبت التنوين في آخرها كما أثبت الكسر في أولها ، وهذا هو موضعها (ص ١٨ س ٩) : « والإفراط في جر المنفعة غِناً لمن أفرطت في نفعه عنك » وقياس أبي عثمان المازني أن مثل هذا يرسم بالألف . فإذا علمنا أن من علماء الرسم من يرى أن يكتب الباب كله بالألف على الأصل كان في هـذا ما يعضد رأى المازني في التنون

وإذا كان الخلاف في مثل هـذا يستحق التأمل والوقوف عنده ، فالخلاف في كلة « السوء » في قول الجاحظ (ص ٣٠ س ٤) : « فتحرز من دخلاء السوء ومجالسة أهل الريب » أهي بالضم أم بالفتح خلاف لا جدى له ، فرد الكلمتين في المعنى واللفظ واحد ، وإحداهما اسم والأخرى مصدر ، وما يذكر بينهما من فروق ليس هنالك . وقد قرىء بهما في كثير من آيات القرآن الكريم ، كآية التوبة : « عليهم دائرة السوء » وآية الفرقان : ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء » ، وآية الفتح : (الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) إلى غير ذلك من الآيات

وبعد ، فإن شكرنا للأستاذ الناقد لا ينقضي لهذا التوجه الكريم إلى (مجموع رسائل الجاحظ) ولما جاء في مقاله من نقد عبقري بصير ، كما في كلة (الذاييع البذر) (٤٥ : ١) ، ولما نبه عليه من أخطاء مطبعية ، ككلة (مَصارع) (٦٣ : ٧) وكلة « السرف » (٦٤ : ١) ، وكلة (يذب) (١٠٣ : ٧) وإنا لنأسف أشد الأسف لوقوع مثل هذه الأخطاء على شدة حرصنا أن يخلو هذا المجموع منها

ولكن أشد هذه الأخطاء التي نأسف لها أسفاً يتلجلج في القلب ورود هذه الكلمة (نسيسا) (١١٧ : ١٤) على هذه الصورة الممسوخة ، في أبيات مشهورة ، رويت في أمهات كتب الأدب العربي لحماسة أبي تمام وذيل الأمالي لأبي على والأغاني . وقد ظن الأستاذ الناقد أنها مصحفة عن « نفيسا » ، وهذا ولا ريب تصحيح طيب ، ولكنه مرتجل . وصواب الكلمة عندنا (قشيبا) ، كما جاءت في رواية أبي على القالي :

وإذا اكتسى ثوباً قشيباً لم أقل  يا ليت أن على فضل ردائه

وبعد ، فهذه كلمات نرجو أن نكون قد أنصفنا بها أنفسنا وأنصفنا بها الحقيقة ، وأنصفنا فيها أستاذنا الناقد الجليل ، والسلام عليه ورحمته وبركاته .

محمد طه الحاجري

# نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

### ٥٢٨ — فهذا تمام الكتخدانية

في (تاريخ الطبري): قال الدهقان (في المهرجان في بلخ سنة ١٢٠) خطيباً فقال: أصلح الله الأمير (يخاطب عامل خراسان أسد بن عبد الله القسري): إنا معشر العجم أكلنا الدنيا أربع مئة سنة، أكلناها بالحلم والعقل والوقار، ليس فينا كتاب ناطق، ولا نبي مرسل. وكانت الرجال عندنا ثلاثة: ميمون النقيبة أينما توجه فتح الله على يديه، والذي يليه رجل تمت مروءته في بيته، ورجل رحب صدره، وبسط يده فرُجي. وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة فيك أيها الأمير، وما نعلم أحداً هو أتم كتخدانية منك. إنك ضبطت أهل بيتك وحشمك ومواليك، فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدى على صغير، ولا كبير، ولا غني ولا فقير، فهذا تمام الكتخدانية[1] ثم بنيت الإيوانات في المفاوز فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا: سبحان الله! ما أحسن ما بني! ومن يمن نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو في مئة ألف فهزمته وقتلته. وأما رحب صدرك وبسط يدك، فإنا ما ندري أي المالين أقر لعينك: أمال قدم عليك، أم مال خرج من عندك؟ بل أنت بما خرج أقر عيناً. فضحك أسد وقال: أنت خير دهاقين خراسان، وناوله تفاحة كانت في يده

### ٥٢٩ — سبب ذلك التباين تفاضل القرائح

في (الوَساطة) للجرجاني: قدم مكة أيام مُقامي بها شيخ بدوي من بني عامر بن ربيعة يدعى مُطَرِّف بن سفيان فأنشدنا قصيدة مدح بها جعفر بن محمد الحسني، وجدتها متنافرة الأبيات بين عين نادر، ومتوسط متقارب، وضعيف ساقط، فكنت كالمتعجب لما أراه من اضطرابها وظهور تفاوتها. وامتحنت الشيخ فوجدت شعره إلى الضعف ما هو. فبينما نحن كذلك إذ أتانا بعض أصحابنا فسألناه عن العامري فأثبته معرفة، وذكر أنه حضر الحي وقت تأهبه للوفادة فرآه في نادي القوم وقد جمع فتيان الحِلّة[1] فقال: إن شيخكم يريد امتداح هذا الشريف بمكة فزوِّدوه، فزوده كل منهم البيتين والثلاثة، ثم نظمها قصيدة، وإذا سبب ذلك التباين تفاضل القرائح واختلاف الأفكار والهواجس

### ٥٣٠ — العامة

قال ابن الجوزي: مر بعضهم بقوم على رجل يضربونه، فقال لرجل يجيد ضربه: ما حال هذا؟

فقال: والله ما أدري ما حاله، ولكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لله وطلباً للثواب[2]...

### ٥٣١ — بيت بثلاث قصائد مختارة

قال عبد الله بن محمد بن جرير: أنشدت أبا تمام قصيدة على ابن جبلة البائية فلما بلغت إلى قوله:

وردّ البيض والبيض، إلى الأغماد والحجب

اهتز أبو تمام من فرقه إلى قدمه ثم قال: أحسن والله! لوددت أن لي هذا البيت بثلاث قصائد من شعري يتخيرها وينتحلها مكانه

### ٥٣٢ — علم والمغنية

في (الأغاني): قال ابن المعتز: حدثني محمد بن موسى قال: اصطبح المأمون يوماً ومعه ندماؤه وفيهم محمد بن حامد وجماعة المغنين وعريب[3] معه على مصلاه. فأومأ محمد بن حامد إليها بقبلة، فاندفعت تغني ابتداء:

رمى ضرع ناب فاستمر بطعنة كحاشية البرد اليماني المسهم[4]

تريد بغنائها جواب محمد بأن تقول له: (طعنة) فقال لها المأمون: أمسكي، ثم أقبل على الندماء فقال: من فيكم أومأ إلى عريب بقبلة؟ والله لئن لم يصدقني لأضربن عنقه. فقام محمد فقال: (أنا يا أمير المؤمنين) أومأت إليها، والعفو أقرب للتقوى. فقال: قد عفوت. فقال: كيف استدل أمير المؤمنين على ذلك؟ قال: ابتدأت صوتاً وهي لا تغني ابتداء إلا لمعنى، فعلمت أنها لم تبتدئ بهذا الصوت إلا لشيء أومئ به إليها، ولم يكن من شرط هذا الموضع إلا إيماء بقبلة، فعلمت أنها أجابت بطعنة

(١) تمام الكتخدانية: تمام السؤدد. والكتخدانية فارسية. وقد راجعت في ترجمتها في هذا المقام العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام، فوافق على السؤدد

(١) الحلة: القوم النزول، مئة بيت جـ حلال (اللسان)

(٢) قال الصاحب: رأيت يوماً جماعة مجتمعين على رجل يضربونه ويقولون: يجب أن يقتل، فسألتهم ما فعل؟ فقال كل: لا أدري

(٣) كانت عريب مغنية محسنة، وشاعرة صالحة الشعر، وكانت مليحة الخط والمذهب في الكلام، ونهاية في الحسن والجمال والظرف وحسن الصورة وجودة الضرب، وإتقان الصنعة والمعرفة بالنغم والأوتار والرواية للشعر والأدب (الأغاني)

(٤) يعني بالرامي كليب




# بعض رواد الأقصوصة المصرية

١ — أقاصيص من القهوة   ٢ — شعاب قلب

للأستاذ دريني خشبة

سعدت هذا الشهر بهديتين من أمتع الهدايا التي أوحت إلىّ موضوع هذا المقال، وهما مجموعتان من الأقاصيص ، أولاها مصرية ، والأخرى مصرية سورية ، وصاحب المجموعة الأولى وأقاصيص من القهوة ، هو شاب من خيرة شباننا المصاميين ، ليس أستاذاً فى جامعة ، ولا مدرساً فى مدرسة ، ولا محرراً فى صحيفة ... إنه شاب ممن آثروا الأعمال الحرة فنجحوا فيها لأنهم لم يستحيوا منها ... إنه صاحب قهوة فى مدينة دمنهور . إنه صديقى الأستاذ عبد المعطى المسيرى الذى قدمه للقراء فى الأمة العربية قاطبة الدكتور طه حسين ، منذ عشر سنوات أو نحوها ، بمناسبة كتيّبه القصصى الجيل « الظامئون » ، الذى أهداه إلىّ فى ذلك الحين ، فكأن القطرة الأولى فى كأس إخائنا المتين . والأستاذ المسيرى قاص هادئ ، يجرى على فطرته ، غير متأثر بأحد من كتاب القصة أو الأقصوصة فى مصر أو فى غيرها ، وإن خيل إليه هو أنه صدى لهؤلاء القصاصين ، وهذه إحدى النواحى الضعيفة فيه

كذلك من نواحى الضعف الشديد فى الأستاذ المسيرى أنه يبالغ فى الاستخفاف بمنزلته فى عالم القصص . فهو يتمنى أن تنشر له إحدى المجلات الممتازة شيئاً من هذه الأقاصيص التى ينشئها ، ثم يطويها حتى يأذن الله فينشرها فى إحدى مجموعاته . ولست أدرى إن لم تنشر مجلاتنا هذا النوع الرفيع من القصص ، فماذا عساها أن تنشر ؟ أخشى أن يكون الأستاذ المسيرى قد ترجم لنا عن مكنونات نفسه فى تلك القصة الجيلة الثالثة التى أرسلها إلينا والتى طلبت فيها البطلة إلى البطل أن يكون أديباً ذائع الصيت ملحوظ المكانة فى عالم الأدب ، لأنها تمنى نفسها بأن تراه كذلك . وأخشى أن تكون القصة « عمتى » التى قلد فيها الأستاذ المازنى هى تاريخ قصير لحياة المسيرى نفسه . فالطفل الذى توفيت أمه ووكله أبوه إلى عمة الطفل لتنشئه على هذا التخويف المستمر بالعفاريت و ( البعابع ) لا بد أن ينشأ على استعظام كل شىء واسترهابه ، وإن خيل إلى الأستاذ المسيرى أن الوالد اللبق استطاع أن ينقذ ولده من عقابيل ما صنعته العمة المحترمة ...

إن هذه الأخطاء اللغوية التى يعترف الأستاذ بورودها فى مجموعته وذلك فى المقدمة لا تنقص من قيمة أدبه وفنه مطلقاً ، وإن كنت أبغض أشد البغض أن يتهاون أحد من الكتاب أو أن يغض من أمر اللغة . وبالرغم من ذلك ، فأقاصيص من القهوة ، هى من أمتع ما قرأت من مجموعات القصص المصرى الحديث ، وهى شىء يبشر بمستقبل باهر ونضج قريب للأقصوصة المصرية التى هى ظاهرة من أقوى ظاهرات الأدب وأحبها إلى القلوب ؛ فأقصوصة (حلة العيد ) و ( الحاج بكار ) ثم قصة « الحياة فى القهوة ) لا تقل عن أبدع ما أنشأه تشيكوف وأندرييف وجوركى من القصص القصيرة . وليس هذا كلاماً نلقيه على عواهنه ، فمن شاء أن يقرأها وأن يرى بعد ذلك رأيه فيما نقول ... وسأذكر دائماً أن ميزة الأستاذ المسيرى هى قدرته على تحديد هدف القصة ، وخلق موضوعها خلقاً كاملاً طريفاً

* * *

أما المجموعة الثانية « شعاب قلب » فهى للأستاذ الصديق حبيب زحلاوى المعروف بسعة اطلاعه على طرف الأدب الغربى وقدرته على تمييز جيده من رديئه . والأستاذ زحلاوى من أدبائنا المصاميين أيضاً ، فهو — كالأستاذ المسيرى ليس أستاذاً فى جامعة ، ولا مدرساً ، ولا محرراً صحفياً ... لكنه من الشباب الذين آثروا الأعمال الحرة ، وهم مع ذلك من رجال الأدب ، فالمامهم بالحياة — مصدر الأدب الأول ، ومعين المعرفة الذى لا ينضب ، ونبع التجارب الذى لا يغيض ، هو إلمام الأديب الفيلسوف الناقد الذى يستطيع أن يرد كل شىء إلى أسبابه ، وأن ينفذ إلى علل الأشياء فيجلوها ويبسطها تبسيطاً عجيباً ... وشعاب قلب كما قدمنا مجموعة من الأقاصيص التى تشبه

المرآة السحرية ، تنظر فيها الحـ ـناء السورية ، فترى فى المرآة حسناء مصرية ... وقد يحدث ـعكس . وإذا صح أن نشكر رذيلة من رذائل الماضي ، فنحن ـشكر للعسف العثمانى فى أسود عصوره الخالية مطاردته للأدباء ا ـنانيين والسوريين لتنال مصر نصيبها الأوفى منهم ، فقد ولى ـظمهم وجوههم شطر مصر ، فأووا منها إلى ركن أمين ... و حبيب إذ يقول :

« طوتنى مصر كما طوت ا ـلاف من النـاس الذين وفدوا مثلى عليها ، فأقلمتنى بإقليمها ، نفخت فى روحها ، وألهمتنى وحى بيئتها ، فصيرتنى كأحد أبـ ـها ، أقوم بالواجب المفروض بمثل ما يقوم به كل مصرى : ص حر . ولمـا كنت أعود بذاكرتى صوب الشآم ، مسقـ ـأسى ومهد حداثتى ، كنت أحس بالحرمان يمزقنى ويكبت ر ـحى ، وأشعر بالواقع يسترضينى ويتودد إلىّ ... حقاً لقد علمتنى مـ ـر أن أرى فيها وطنى وأهلى ، ولقد تعلمت منها كيف أبادلها - يلاً بجميل ووفاء بوفاء . لقد علمتنى كيف أحبها وكيف أحاـ ـ على حبي مسقط رأسى ومهد ذكرياتى ، وكنت أصيخ بسمعى ـئماً إلى أنات قومى وأوجاعهم وأسعى جهدى إلى مزجها بأنات ـخوانى المصريين الموجعين ! . »

هذه آيات الوفاء ينبض بها ـلب مخلص وفى ... ونحن والله نرد التحية بأحسن منها ، ونشـ ـر المقادير التى وحدت آلامنا وأمانينا حتى أثمرت هذا الثمر الجنى ...

ثم ما أجمل بعد هـذا شعاب قلب ! إنها أرواح صداحة تملأ الكون شعراً وجمالاً وموسيقاً ، وإن غسلته بالدموع أحياناً ... إنها صور وافرة تزدحم بها السطور ازدحاماً عجيباً ، فهذه الفكرة تدفع فى ظهر تلك ، وتلك تأخذ بتلابيب التى بعدها ... فهلا انتظمت جميعاً فى قصيدة رائعة واحدة ؟ ! إنها شعاب قلب حقاً ... بل هى قطع من قلب معذب ، ونفس حائرة ، تجيد الغناء والبكاء والضحك ، كما تجيد النفاذ إلى قلوب المحبين ونفوس الموجعين ومهيج الحزانى ...

ولـكن ... وآه من لـكن الملعونة هذه !

ما هذا اللغو يا صديقى الذى لغا به صاحبك فى أقصوصة الآباء البيض ! ومن زعم له أن لا فائدة من علوم الكهنوت للذين يتهيأون لأن يطلوا على أرجاء الحياة السحيقة من كوات الدين ، وأن علوم الدين على وجاهتها وقداستها تغل العقول وتضيق الأذهان وتبلد طبيعة الرجولة فى الإنسان ؟ ...

وما هذه الأحلام المزعجة عن خيانات الأزواج والزوجات ؟ وفيم كل ذلك العنف وكل تلك الألوان الصارخة ... حيث كانت الألوان الرمادية ، والألوان الصافية ـ الألترامارين ! ـ ألطف وأحرى وأنسب ؟ أما النادى الشرقى ، فقضيته فى مجموعتك البديعة لا تقام إلا فيه ، لأن فيه قضاتك . وأما اللغة وأغلاطها الكثيرة التى نبهك إليها الأستاذ العقاد فى المقدمة فهى سوءة لا تغتفر لك

دريني خشبة

## أبطال الإسلام : لمحمود نصير بك

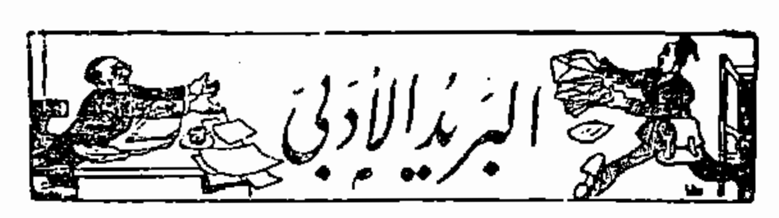
فى هذا الكتاب أربع وعشرون ترجمة لأربعة وعشرين بطلاً من أبطال الإسلام اختارهم المؤلف الفاضل ليعرضهم عرضاً تاريخياً ؛ ليكون للأمة الإسلامية فى كل بقعة من الأرض من سيرهم وروائع بطولتهم مثل تدفع الأبناء إلى التأسى بالآباء ؛ وتحفزهم إلى العمل على استكمال عدتهم ، لتتم لهم كرامة هـذه الأمة العربية التى خرجت من ثنيات الوديان وكثبان الرمال ومضارب الصحراء ، إلى الممالك العريقة ففتحتها ونشرت عليها راية الإسلام ، وبثت فيها تعاليم القرآن .

وهذا المقصد الكريم هو الذى دعا محمود بك نصير فى سنة ١٩٢٤ إلى نشر تلك التراجم تباعاً فى جريدة اللواء المصرى ؛ وهو الذى دعاه فى سنة ١٩٤٤ إلى جمع تلك التراجم فى كتاب واحد ، حتى يكون الرجوع إليها سهلاً ؛ والاستئناس بها ميسوراً

لقد عبت فى كلمة سابقة من « الرسالة » وفى هـذا الموضع بعينه على من يجدون فى رجال الغرب وفى معارك الغرب مجالاً لأقلامهم وميداناً لـكتاباتهم ؛ فعندنا فى تاريخ الإسلام والعرب من تفخر بهم البطولة ، وتعتز بهم الرجولة ، وتزهى بهم المواقف ، وتتباهى بهم المعارك . وفى ( القادسية ) ( واليرموك ) ( وذات الصوارى ) وفى ( عمر ) ( وسعد بن أبى وقاص ) ( وخالد بن الوليد ) ( والنعمان بن مقرن ) شواهد من الخبر

ولقد أنصف صديقنا محمود بك نصير حين أنصت لدواعى دينه ، ودوافع إيمانه ، فأرضى ربه وقومه وإسلامه بهـذا الكتاب الكريم .

محمد عبد الغنى حسن




## ٢ الشعر الجديد

لم يذهب عنى ، إذ كتبت مقالى السابق[١] ، أن التجدد من سنن الكون النافذة ، وأنه من طبائعه الدائبة ، وأنه سار فى كل شىء ، حتى المعانى التى فى النفوس ، والفكر التى فى العقول ، بل هو قوام الحياة وسر البقاء

لقد رأينا الشعر العربى يتجدد منذ القدم ويتطور ، ويتغير ويتحول ، ويساير مختلف البيئات ، ويتابع متعاقب العصور

فهل عبر الأعراب الأولون عن أغراضهم وميولهم كما كان يعبر سلائلهم من بعدهم ؟ وهل تصرف شعراؤهم الأقدمون فى فنون القول كما كان يتصرف محدثوهم ؟

ألا ترى إلى الشعر قبيل الإسلام كيف صفت ديباجته ، وندر فيه الحوشى من اللفظ ، والمتعقد من التركيب ، والنافر من المعنى ؟

إن العرب إذ ذاك كانوا قد خالطوا من جاورهم من الأمم المتمدينة ، بالتجارة والرحلة ؛ فاستعاروا منهم كثيراً من الألفاظ والمعانى ، فتطعم[٢] لسانهم شيئاً جديداً ، وتذوق فنوناً طريفة ، امتزجت كلها ، فخرجت ألواناً عذبة ، وطعوماً سائغة

ثم كان الإسلام ، فقلب أوضاع الحياة العربية ، وكانت متهيئة لهذا الانقلاب ، كما هو شأن الحوادث الجسام فى التاريخ لا تولد فجاءة ؛ وإنما تعمل أسبابها فى الخفاء ، فتمهد للفورة .

وكان القرآن الكريم ، فاجتمع هذان العاملان على أن يجددا تجديداً لم يعهد من قبل ــ فى لغة الحديث وفى الخطابة وفى الشعر

وكلنا يعرف ماذا كانت أغراض الشعر الجاهلى ؛ وكلنا يعرف أيضاً كيف عاد كثير منه فى صدر الإسلام أسلحة سياسية ذات مضاء

وكذلك كانت حال الشعر — أو أبرز أحواله — فى الدولة الأموية أو فى معظمها

(١) عدد ٥٠٦ من الرسالة (٢) ذاق

ثم تعاقبت العصور بعد ذلك وتتابعت الأحداث فى البلاد الخاضعة للإسلام . وكان الشعر فى خلال تلك الحقب يزدهر تارة ويذبل تارة . وربما أشرق فى ناحية وخبا فى أخرى فى وقت معاً ، متأثراً فى ذلك برقى البيئة أو انحطاطها ، وقيام العدل أو فشو الظلم ، واضمحلال الدولة أو عنفوانها

من هذه المثل الوجيزة ــ التى ما ادعينا أن ندلى فيها بعلم أو رأى جديد ــ نرى أن الشعر من حيث أنه كائن خاضع لمؤثرات شتى ، فى تجدد مستمر وتقلب وتحول . فلكل بيئة لونها ونتاجها لا شك فى ذلك . والبيئة ــ كما يقول علماء التربية ــ تشمل كل مؤثر أيا كانت طبيعته

فهكذا يجب أن يفهم — فى لغة الأدب — معنى التجدد ، لا كما يوهمنا هؤلاء الأدعياء الذين أشرت إليهم فى مقالتى السابقة ، أولئك الذين سنحاول فيما يلى من حديثنا تصوير مذهبهم فى القول ، وإن كنا قد أخذنا على أنفسنا ألا يتخلل كلامنا ما ينم على أشخاصهم بلفظ أو إشارة ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا

لقد تكون هذه المحاولة شاقة جداً ، لالتواء طرقهم ، واعتياص أساليبهم ، وتسترهم فى تجديدهم وراء القمقمة والزخرف والترقيش

ولكننا سنحاول إن شاء الله . (ا . ع)

## من الفلك القديم

ساق إلى الأستاذ إبراهيم السعيد عجلان فى الرسالة عدد ٥٥٤ بعض أسئلة تتعلق باصطلاحات فلكية وردت فى مقدمة ابن خلدون واستعملها العرب القدماء فى مؤلفاتهم

وقبل الإجابة ألفت النظر إلى أن ابن خلدون لم يكن عالماً فلكياً ولا من الذين اشتغلوا بالرصد . وما جاء فى مقدمته من معلومات وآراء فى الفلك قد اقتبسه من فلكيي زمانه أو من الذين سبقوه من عرب ويونان ، ولم يكن من وضعه أو نتيجة لدرسه وبحثه .

وحين نعرض للآراء التى سأل عنها الأستاذ إبراهيم إنما نعرض للآراء التى كانت معروفة شائعة عند فلاسفة اليونان والعرب ومفكريهم فى القرون المتوسطة وما قبلها

كان القدماء يعتقدون أن الأرض كرة قائمة فى الفضاء

على لا شيء ، وإنها مركز الـ ون تحيط بها الشمس والقمر والكواكب والنجوم دائرة رة كاملة كل يوم من الشرق إلى الغرب جائمة من فوقها نها من تحتها ليلاً

ولكل من الشمس والـ والكواكب والنجوم فلك حول الأرض أي طريق دائري سير عليه . وهذه كلها تدور حول (الأرض) في أفلاك ؛ فـ ر — وهو أقرب الأجرام إلى الأرض — يدور حول الأرض في فلك هو أقرب الأفلاك . وفوق فلك القمر فلك عطارد ؛ فلك الزهرة، ثم فلك الشمس، ثم فلك المريخ، ثم فلك المشتري م فلك زحل، ثم فلك النجوم[١]

هذا ما كان يقول به بطلي س وغيره من علماء اليونان . وقد أخذ كثيرون من علماء ا ب ومن قبلهم الرومان بهذا الرأي واعتمدوا عليه . ومن ا يتبين أن المقصود من الفلك الأعلى هو فلك النجوم الثوابت هو يسير من الشرق إلى الغرب وتتبعه في ذلك سائر الأفلاك ا ى تحته أو التي في جوفه

ومع أن كلا من الكوا ب السيارة وغير السيارة خاضع لسير آخر خاص به لا محل لـ سيله ؛ فإنها على الرغم من ذلك تتحرك حول الأرض من ا رق إلى الغرب . وهنا يتجلى السبب في استعمال [ قهراً ] أ [ قسراً ] كما وردت في بعض الكتب الفلكية القديمة

ولقد عانى العرب ومن قبـ م علماء اليونان كثيراً في تعليل بعض الحركات وفي تفسير بعـ الظواهر الطبيعية على أساس ما أخذوا به واعتمدوا عليه في جعل الأرض مركز الكون . ويعجبنا كما عجب غيرنا كيف أن بطليموس وأضرابه من حكماء اليونان والرومان وفلكيي العرب والإسلام وفيهم البوزجاني والبتاني والبيروني والصوفي والطوسي وغيرهم — وهم من ذوي الأدمغة الكبيرة — نقول كيف أن هؤلاء تمسكوا بهذا الرأي وكيف أن أفق تفكيرهم لم يصل إلى استجلاء حقيقته وكشف الخطأ فيه ، وأن عقولهم الجبارة لم تستطع أن تقودهم إلى معرفة حقيقة مكان الأرض من الكون

والواقع المقطوع به الآن أن الأرض جرم من الأجرام السماوية يدور حول الشمس ويخضع للنواميس والأنظمة التي تخضع لها موجودات هذا الكون ، وأنها ( أي الأرض ) سيار كبقية السيارات لا أكثر !

( نابلس )   قدري حافظ طوقان

(١) البيروني — كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم — مخطوط

# دفاع عن البلاغة

( بقية المنشور على صفحة ٢٢٢ )

أو الفن للفن كما يقولون ! وعلى الرغم من أن عدوى هذا الأدب قد انتشرت بين كثير من الأدباء ، فإنه لم يكتسب عندنا حق الوجود ؛ لأن كل شيء لا بد أن يُقصد من ورائه إلى غاية ، والكلام إذا لم يكن داع يدعو إليه كان لغواً وهذراً . أما أن يتخذ بعض الكتاب من عبارة ( الحديث ذو شجون ) ذريعة لأن يسامحوا أنفسهم في الكلام إذا عنّ ، ولا يراعوا صحة دواعيه ، وإصابة معانيه ، فهذا ما نأخذه عليهم ، ولا نقبله منهم ، مهما افتنّوا في اختلاق المعاذير له . ونصيحتنا لهؤلاء هي قول الشاعر :

إذا لم تجد قولاً سديداً تقوله     فصمتك عن غير السداد سداد

ونظن الأديب الفاضل يعني فيمن يعني صاحب ( النثر الفني ) ، ولولا أن صديقنا المبارك يحتكر زعامة الصناعتين ، ويعتقد أن للسانه شعبتين ولقلمه سنّين ، لاستأنفنا له الحكم ، وتولينا عنه الدفاع !

( للكلام بقية )   احمد حسن الزيات